موقف محمد علي باشا
من الاتجاه الإسلامي في مصر
١٨٠٥- ١٨٤٩ م / ١٢٢٠-١٢٦٦هـ

إعـــداد

حسنة شويل أحمد الغامدي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية / جامعة الملك عبد العزيز

موقف محمد علي باشا من الاتجاه الإسلامي في مصر
١٨٠٥- ١٨٤٩ م / ١٢٢٠-١٢٦٦هـ

حسنة شويل أحمد الغامدي

المقدمة:

الاتجاه الإسلامي في مصر أواخر القرن ١٨م وإبان الحملة الفرنسية:

كانت مصر في أواخر ق ١٨ معقلاً للثقافة الإسلامية،فقد كان الجامع الأزهر بمثابة الجامعة التي يتلقّى فيها الشباب الأسس الشرعية، وكانت المساجد والمدارس في مصر وجهةً لطلاب العلم من جميع أقطار العالم الإسلامي، إذ يتلقون العلم والدين؛ فشهدت مصر بذلك نشاطاً دينياً عظيماً. ولعل أهم ما اتصفت به تلك الحقبة الزمنية انتشار التصوف، لا سيما وأن مشايخ الصوفية وجدوا فيها التربة الصالحة التي أسهمت في انتشار المذاهب والتعاليم الصوفية، وأقبل عليها الكثير من سكان مصر[١]؛ فكان لذلك تأثيره في جوانب الحياة المختلفة هناك.

كما شهدت مصر بوادر للنهضة العلمية والثقافية غير متأثرة بالمؤثرات الخارجية أياً كانت، "ففي مجال الرياضيات والفلك كان الشيخ حسن الجبرتي، وفي مجال الشعر الشيخ الشبراوي وحسن العطار، وفي ميدان الدراسات اللغوية والدينية ظهر السيد محمد الزبيدي، وفي التاريخ ظهر الشيخ عبدالرحمن الجبرتي [2].

لكنّ هذه النهضة لم يكتب لها البقاء والاستمرار؛ بسبب الغزو الفرنسي على مصر، الذي استمر قرابة الثلاث سنوات، عملوا فيها على نشر ثقافتهم الغربية، وفرضها على المجتمع الإسلامي المصري، من اختلاط وسفور وبغاء وتعاط للمسكرات[3].

وبعد أن أخفقوا في التقرب والتودد للشعب المصري،عمدوا إلى زعزعة العامل الديني، بعرض حضارتهم الغربية بكل مغرياتها على المشايخ والعلماء[٤]. وتدل التقارير التي كان يرفعها الفرنسيون في مصر إلى وزارة الخارجية الفرنسية أن لهم أطماعاً وأغراضاً بعيدة في مصر؛ فكانت التقارير تتناول ما كان يتم رصده من تحركات للقوى البرتغالية والبريطانية في المنطقة، والتي تهدد مصالحهم التجارية في الشرق[٥]، فكانت حملة نابليون بونابرت على مصر نمواً طبيعياً لتطور العقلية الفرنسية سياسياً واقتصادياً وبذلك يتم توجيه ضربة قوية للوجود البريطاني في المنطقة [٦].

وعلى الرغم من إخفاق فرنسا في إقامة مستعمرة لها في مصر، وضرب بريطانيا في مستعمراتها إلا إنها نجحت في ترك آثارها العلمية، ونشر ثقافتها الفرنسية، فخدم الفرنسيون أهدافهم واستطاعوا أن يؤثروا في شعب مصر والشعوب الإسلامية، وظهرت الدعوة إلى القومية الفرعونية، وإبعاد المجتمع تدريجياً عن الهوية الإسلامية؛ فتحقق لفرنسا السيطرة على مصر وعلى مقدراتها من خلال تحالفها مع محمد علي، وزيادة الامتيازات الممنوحة للنصارى سواء في مصر أو الشام وفي المقابل كسر شوكة المسلمين [٧].

*** العلماء المسلمون ودورهم السياسي في أعقاب خروج الحملة الفرنسية ودورهم في تولي محمد علي ولاية مصر:**

بعد خروج الحملة الفرنسية من مصر عام ١٢١٥هـ / ١٨٠١م، سادت الفوضى والاضطرابات أرجاء البلاد، وحمل العلماء والمشايخ مهمة الدور السياسي بعد أن عملت فرنسا على إضعاف القوى السياسية في مصر متمثلة في المماليك والدولة العثمانية، إلا أن محمد علي باشا[٨]، كان وراء الإخفاق المستمر لهذا الإصلاح الذي تزعمه العلماء والمشايخ من خلال إثارة القلاقل والفتن، ومداهنة الناس من العامة واستمالتهم بالمال والأزواد (العلف)[٩].

أدرك محمد علي أن صلته بالعلماء ستحقق له أطماعه؛ فأخذ يتقرب منهم، وعلى رأسهم السيد عمر مكرم[١٠]. وعندما ساءت العلاقة بين الوالي العثماني "خورشيد باشا" والمصريين، أجمع العلماء والمشايخ على تنصيب محمد علي والياً على مصر، ونادوا بذلك في المدينة، فما كان من السلطان العثماني إلا أن أصدر فرماناً يقضي بتعيينه والياً على مصر تحت إلحاح العلماء والمشايخ والأعيان [١١].

ولعل المتمعن في الأمر يجد أن الشعب كان حريصاً على التمسك بدولة الخلافة، وأن اعتراضهم كان على الوالي خورشيد وما حملته ولايته من مفاسد، فكيف لا والدولة العثمانية كانت تسعى إلى تأكيد الحياة الدينية والهوية الإسلامية لمصر. وعلى الرغم من أن ما آل إليه السيد عمر مكرم سرّ الجبرتي باعتبار ذلك عقاباً له؛ لأنه ساند محمد علي باشا في تولي أمور مصر، إلا أن السيد عمر مكرم خُدع من محمد علي الذي عُرف عنه الدهاء والذكاء والحذر؛ فما كان له أن يعرف ببواطن الأمور، والعلماء والمشايخ كلهم تاقوا إلى أن يتولى مصر رجل قوي يستطيع أن يغير أوضاعها إلى الأفضل، خاصة وأن محمد علي عاهدهم على ألا يخرج عن مشورتهم، وأنه في حالة مخالفته يُعزل من الولاية[١٢].

محمد علي بعد توليه السلطة وتخلصه من القوى السياسية الاجتماعية

أولاً: المماليك:

اعترى المماليك الضعف منذ مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر، وبعد خروجها منها، ومع ذلك ظلوا يمثلون خطراً يهدد مصالح محمد علي باشا على الصعيد المحلي؛ بسبب خبرتهم وسيطرتهم على إيرادات مصر، فما كان من محمد علي إلا أن حرمهم من تولي مشيخة البلد ومن إمارة الحج، كما كان للصراع بين المماليك دور مهم في التخلص من منافستهم لمحمد علي باشا، علاوة على رضا السلطان العثماني عليه بعد

الانتصارات التي حققها على الدولة السعودية الأولى وسقوط عاصمتها عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م[١٣].

كان الصراع الدموي بين المماليك ومحمد علي الصبغة الأساسية التي سارت عليها علاقة الطرفين مع بعضهما[١٤]، ففي سنة ١٢٢٥هـ/ ١٨١١م دعا محمد علي المماليك إلى وليمة في القلعة[١٥] حيث غدر بهم وذبحهم عن بكرة أبيهم ولم ينج منهم إلا قلة استطاعوا الفرار[١٦].

ويذكر أحد المؤرخين أن عدد المماليك الذين قتلوا يقدر بحوالي أربعمائة وتسعة وستين، ولم ينج منهم إلا أحدهم ويدعى"أمين بك"، ثم أعقب ذلك نزول جنود محمد علي حيث اقتحموا البيوت ونهبوها واغتصبوا النساء، ولم يبق منهم إلا عدد قليل رحلوا عن مصر إلى بلاد النوبة وبلاد الشام[١٧].

ثانياً: علماء الأزهر:

لقد سبق القول عن دور المشايخ والعلماء في تولي محمد علي ولاية مصر، على أن يحكم بمشورتهم، وأن يتحرى العدل، فإنْ خالف ذلك عزله العلماء، فقبل محمد علي ذلك حتى أصبح بفضل هؤلاء المشايخ والعلماء والياً على مصر، ولكن محمد علي لم يكن ليترك العلماء والمشايخ يتدخلون في حكمه؛ مما يؤثر في قبضته على الحكم، وعلى زمام الأمور في الدولة، باعتبار هؤلاء سلطة رقابية على كل تصرفاته؛ لذلك أعلن العصيان ضد العلماء، ولكن بطريقة لا تثير حوله الشبهات، أو تدعو إلى إثارة الناس. فعمل على إغداقهم بالأموال والأرزاق حتى يشتغلوا بها عن مراقبته، كما عمل على إثارة التنافس بين العلماء من أجل الأوقاف وتولي منصب شيخ الأزهر[١٨].

"ولعل أهم عمل قام به محمد علي لضرب الزعامة الإسلامية في مصر هو ضمه للأوقاف التي كانت موقوفة على الأزهر لينفق منها على التعليم والمشايخ إلى ملكية

الدولة"[١٩]؛ فأدى هذا التنافس والتزاحم على أوقاف الأزهر إلى أن انشغل أغلب المشايخ والعلماء عن أمور الدين بأمور الدنيا.

لذلك عمد محمد علي إلى إثارة الفتنة والخلافات بين علماء الأزهر،يقول الجبرتي: "إن ذلك أدى إلى زوال هيبتهم ووقارهم ومشاركة الجهال في الأمور الدنيوية والحظوظ النفسانية والوساوس الشيطانية ومشاركة الجهال في المأتم والمسارعة إلى الولائم في الأفراح والمآتم"[٢٠].

وهكذا تمكن محمد علي من التخلص من العلماء والمشايخ، فأصدر في التاسع من أغسطس ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٩م قراراً بعزل السيد عمر مكرم، من نقابة الأشراف ونفيه إلى دمياط، ثم جعل تعيين شيخ الأزهر في يده لا في يد المشايخ؛ مما أدى إلى تنافس الكثير منهم من أجل التقرب إليه[٢١].

كما قام بعزل نشاط الأزهر وتحديده؛ ليكون نشاطاً محلياً وليس دولياً، وطبّق ذلك بالتدريج وعلى فترات، وخصص الأزهر لعلوم الدين فقط، وأما غير ذلك فيكون من اختصاص المدارس الحكومية التي أرسى قواعدها على النمط الغربي والمبني على فصل الدين ومؤسساته في مجال الحياة والسياسة، فأصدر عام١٢٢٢هـ/ ١٨٠٨م، قراراً رسمياً بفصل الدين الإسلامي وتعاليم الشريعة عن الدولة والسياسة، وهو أول قرار علماني في تاريخ مصر، كما عمل على التقليل من شأن الأزهر ومنافسته في تخصصاته [٢٢].

ثالثاً: الفرقة العثمانية:

بعد خروج الحملة الفرنسية من مصر، أخذت الفرقة العثمانية في ممارسة السلب والنهب والاغتصاب من شعب مصر، فما كان من محمد علي إلا أن أضعفهم عن طريق أتباعه من الألبان والأرناءوط، واستهلاك الفرقة العثمانية في حروبه الخارجية[٢٣].

وهكذا بعد أن تخلص من مناوئيه، وعمل على تثبيت دعائم حكمه في مصر سعياً لتحقيق أهدافه وأطماعه، بدأ يخطط من أجل بناء مصر على النمط الغربي.

محمد علي والدولة العثمانية:

أدرك محمد علي منذُ ولايته على مصر عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٥م، ما يكنّه له السلطان سليم الثالث (١٧٦٠-١٨٠٨م)، من عداء بعد أن أُجبر السلطان على قبوله والياً على مصر بضغط من المشايخ والعلماء، وكانت لهذه النظرة العدائية لمحمد علي،أن سعى السلطان إلى نقله إلى جدة عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٥م، ومرة أخرى إلى سالونيك عام١٢٢٠هـ/ ١٨٠٦م، فتوجه محمد علي إلى بريطانيا وفرنسا من أجل الحصول على دعمهم في إيجاد كيان مستقل معترف به[٢٤].

كذلك سعى لتحقيق أطماعه التوسعية؛ فاستجاب لطلب الدولة العثمانية بحرب الدعوة الإصلاحية في جزيرة العرب، وكان ذلك باتفاق مع الإنجليز لخدمة أطماعهم في المنطقة[٢٥]، فاستولى على الحجاز، واستطاع ابنه إبراهيم باشا أن يسقط الدرعية[٢٦]، في الوقت الذي أخذ الإنجليز في ضرب القواسم في رأس الخيمة.

لذلك وافق السلطان على جعل ولاية مصر وراثية في أكبر أبنائه، بعد أن حصل على باشوية جدة[٢٧]. إلا أن هذه التسوية لم تضعف من ارتباط مصر بالدولة العثمانية؛ بسبب الشعور الديني العميق الذي يحمله المصريون للسلطان العثماني، باعتباره خليفة المسلمين من ناحية، ولوجود عدد كبير من الموظفين العثمانيين في مصر[٢٨].

وفي عام ١٢٣٦هـ/ ١٨٢١م، حدثت الثورة اليونانية؛ فلجأ السلطان محمود الثاني إلى طلب المساعدة من محمد علي، فساعدته بريطانيا في ذلك تحت غطاء مساندة الدولة العثمانية، في حين أن الهدف الأساس هو الوقوف أمام النفوذ الروسي [٢٩].

ويذكر بعض المؤرخين أن السلطان أراد باستنجاده بمحمد علي إنهاك قواه، واستهلاك جيشه وأسطوله؛ حتى لا يصبح بتحالفه مع القوى الغربية السلطة البديلة عن الدولة العثمانية[٣٠].

ثم جاءت القطيعة بين السلطان وبين محمد علي بعد حرب المورة [٣١]، حيث فقد محمد علي الكثير من الأموال، والعديد من الجند فرفض تقديم المساعدة للدولة العثمانية في حربها مع روسيا ١٢٤٣/ ١٨٢٨م، إلا بعد أن يوافق السلطان على ضم محمد علي للشام بدون شرط أو قيد ولكن دون جدوى [٣٢]، وذلك لتخوف الدولة العثمانية من أطماع محمد علي في المنطقة، خاصة بعد أن أصبح يدعي أنه هو حامي الحرمين الشريفين[٣٣]. أما الإنجليز فقد بدأوا في الانزعاج من ازدياد قوة محمد علي وارتباطه بفرنسا، فسعت بريطانيا للحد من هذه القوة بالمحافظة على كيان الدولة العثمانية ضد روسيا[٣٤].

كما أدى انسحاب محمد علي من اليونان بدون موافقة السلطان إلى استياء العلاقات بين الطرفين، وعلى الرغم من ذلك لم يرض محمد علي؛ فجهز جيوشه لضم الشام والعراق، متذرعاً بمحاربة عبدالله الجزار، وانتهى الصدام بين الطرفين بصلح كوتاهية ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٣م، إذ أصبح محمد علي حاكماً على مصر والسودان والشام وكريت وجدة. ولكن السلطان لم يكن راضياً عن هذه المعاهدة فلجأ إلى الروس من أجل القضاء على محمد علي[٣٥]، وفي عام ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٤م أبدى محمد علي رغبته في استقلال مصر عن الدولة العثمانية، إلا أن الدول الأوربية رفضت ذلك الأمر، فكرر طلبة مرة أخرى عام ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٨م، وقوبل طلبه بالرفض أيضاً، فأرسل السلطان العثماني جيشه لمحاربة محمد علي إلا أن قواته هزمت فما كان من السلطان إلا أن اعترف بحكم محمد علي الوراثي على مصر والسودان[٣٦]. فرفضت الدول الأوربية ذلك ووقعت مع محمد علي معاهدة لندن عام١٢٥٥هـ/ ١٨٤٠م،

حيث أعطي محمد علي وأسرته حكم مصر تحت مظلة الدولة العثمانية[٣٧]. ولعل اعتراف بريطانيا وفرنسا بهذا الاستقلال أسهم بشكل كبير في ارتمائه في أحضانهم[٣٨]. وبعدها عاشت مصر تحت حكم محمد علي وأسرته حتى عام١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م، عندما أعلنت الحماية البريطانية على مصر، وقطع كل علاقة تربط مصر بالدولة العثمانية[٣٩].

وبعد إخفاق محمد علي في بناء دولة عربية في الشام وشبه الجزيرة العربية، واستقلال مصر عن الدولة العثمانية، جعل مصر ذات شخصية مستقلة؛ مما أسهم في انعزالها عن أجزاء الدولة العثمانية في الشرق العربي، فاتجهت مصر إلى إفريقيا. فأدت الوحدة السياسية بين مصر والسودان إلى زيادة نشاط الحركة القومية المصرية؛ فأصبحت مصر مركزاً للحركة العربية العامة، يفد إليها الناقمون والساخطون على الدولة العثمانية مع ترحيب سلطات الاحتلال البريطاني بذلك[٤٠].

*** ارتباط محمد علي بالمحافل الماسونية(٤١) وآثاره القومية في مصر :**

يعود النشاط الماسوني في مصر إلى عهد نابليون بونابرت، إذ أسس محفل إيزيس عام ١٢١٤هـ/ ١٨٠٠م، فانضم له العديد من المسلمين، ومن أهم هؤلاء: محمد علي، وجمال الدين الأفغاني، والشيخ حسن العطار، فقد أصبح من الركائز التي يعتمد عليها محمد علي في خطواته التجديدية في مصر، وهو أمر يشير إلى وجود صلة بين محمد علي والمحفل الماسوني المصري الذي تأسس إبان الحملة الفرنسية[٤٢].

وقد تأسس في عهد محمد علي العديد من المحافل الماسونية في مصر، كالمحفل الماسوني الإيطالي والمحافل الفرنسية، وأصبح اسم محمد علي رمزاً من رموز الماسونية واسماً لأحد محافل الإسكندرية[٤٣].

كان محمد علي متشبعاً بالأفكار الماسونية، والتي كان مهيأ لها بحكم تكوينه الطبيعي، فينقل عنه قوله وهو يفاوض الفرنسيين على مسألة احتلال الجزائر: (ثقوا أن قراري... لا ينبع عن عاطفة دينية، فأنتم تعرفونني وتعلمون أنني متحرر من هذه الاعتبارات التي يتقيد بها قومي... قد تقولون أن مواطني حمير وثيران وهذه حقيقة أعلمها) [٤٤].

لقد كانت المصالح الفرنسية ترى دعم محمد علي ليتحقق لها أطماعها المستقبلية في حفظ وتقوية محافلها الماسونية، وإضعاف الدولة العثمانية، لذلك أنشأت لمحمد علي أسطولاً بحرياً متقدماً متطوراً، وكان ذلك لغرض تنفيذ المخطط الصليبي الذي فشلت الحملة الفرنسية في تنفيذه بسبب اضطرارها للخروج[٤٥].

أما ابنه إبراهيم باشا فألغى في عهده كل القيود على النصارى واليهود؛ بدعوى الحرية والمساواة والإخاء، وإنْ دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى تأثير هذه المحافل على محمد علي وابنه إبراهيم، بدعم من فرنسا التي وجدت أن تحقيق أطماعها في مصر التي عجزت عن تحقيقها إبان الوجود الفرنسي في مصر سيكون عن طريق محمد علي والدعوة إلى إثارة القومية[٤٦]، والقضاء على الرابطة الإسلامية التي تربط المسلمين مع بعضهم، وتربطهم بالدولة العثمانية. وما أحدثه محمد علي من علمنة في كل مفاصل الدولة وعلى رأسها التعليم، وفتح الباب على مصراعيه أمام البعثات التنصيرية، وإعطاء النصارى واليهود العديد من الامتيازات، والترويج لفكرة القومية العربية[٤٧].

لقد انتشرت الكنائس والمدارس والمطابع، وقام العديد ممن خدعتهم شعارات المحافل بترجمة وتأليف العديد من الكتب التي تدعو إلى إحياء التراث العربي، وكان

أغلب هؤلاء من النصارى الذين كانوا يخفون وراءهم أهدافاً استعمارية كيدية ضد الدولة العثمانية كنصيف اليازجي، وبطرس البستاني(٤٨).

وكانت هذه المحافل والجمعيات الماسونية تدعو إلى السفور، وشرب الخمر، وارتكاب الموبقات؛ مما جعل الشعوب الإسلامية تنفر منها، وتتمسك بدولة الخلافة(٤٩).

وهكذا سعى محمد علي إلى نشر الفكر القومي بين المسلمين؛ حتى يجعلوا القومية بديلاً عن الدين؛ فيمزق بذلك وحدة المسلمين السياسية، ويعمق العداء مع دولة الخلافة؛ فتصبح القومية العربية ردة فعل للفكر القومي الطوراني، ويصبح حكم مصر وراثياً في أبنائه بتأييد من إنجلترا وفرنسا.

محمد علي وارتباطه بأوروبا في تحديث دولته في مجال التعليم

كان التعليم قبل ولاية محمد علي لمصر تعليماً دينياً أزهرياً، يقوم في المساجد والزوايا، ويشرف عليه علماء الدين ومشايخه. وكان المسجد هو عماد الحياة، إذ تعقد حلقات العلم التي يترأسها المشايخ، ويأتي إليها طلاب العلم من مصر ومن مختلف البلاد الإسلامية، فكانت تُدرس أهم العلوم آنذاك، مثل: القرآن والحديث والفقه وعلوم اللغة العربية، وقد نال التعليم اهتمام الحكام فبنوا المدارس والمكتبات الزاخرة بالكتب وأعدوا المخطوطات، كما لم يكن التعليم في مصر قاصراً على الأزهر بل كان هناك الكتاتيب التي تقام في أفنية المساجد والزوايا، حيث كان التعليم حراً فكل طالب يدرس ما يريده من العلوم(٥٠).

*** سياسة التعليم في عهد محمد علي واستبعاد التيار الإسلامي من مناهج التعليم:**

قامت سياسة التعليم عند محمد علي على تحويل التعليم إلى العلمانية من خلال ربطه بالتعليم الفرنسي، فكانت سياسته تقوم على ثلاثة اتجاهات رئيسة هي:

١- الاتجاه الأول: التركيز بشكل كبير على تلامذة الأزهر بإرسالهم لبعثات خارجية إلى فرنسا وإيطاليا بشكل رئيس.
٢- الاتجاه الثاني: الاعتماد في مجالات التعليم في مصر على المستشرقين الأوربيين والفرنسيين بصفة خاصة.
٣- الاتجاه الثالث: ترجمة الكتب والمؤلفات الغربية، التي تخدم سياسة محمد علي العسكرية.

وقد أهمل محمد علي التعليم الديني القائم في الجامع الأزهر والمساجد الأخرى وأنشأ تعليماً علمانياً، أسهم في تمكين التعليم الأجنبي ورسوخ أقدامه، ولعله كان يرمي إلى تزويد جيشه بكل ما يحتاج إليه من ضباط وأطباء ومهندسين وخبراء(٥١).

يتضح من هنا أن هذه السياسة التي اتبعها محمد علي، من خلال إرسال البعثات واستقدام العلماء الأجانب،استطاع بها أن ينقل ثقافة المجتمع من الدين إلى العلمانية.

ومن الأسباب التي ساعدت في تمكين التعليم الأجنبي في مصر:

١- ضعف الدولة العثمانية.
٢- حصول إنجلترا وفرنسا على مزيد من الامتيازات الأجنبية.
٣- توافد الإرساليات الأجنبية إلى مصر بعد إنشاء القنصليات فيها مما أسهم في انتشار ونمو التعليم الأجنبي.
٤- تطلع الدول الأوروبية إلى زيادة نفوذها في المنطقة بعد دخول الحملة الفرنسية إلى مصر، رغبة في أن تكون مصر مستعمرة لهم في الشرق.
٥- استناد ولاة مصر على الدول الأجنبية وعلى رعاياها بشتى الطرق، وظهرت هذه الحقيقة في معاهدة لندن عام ١٨٤٠م، إذ خضعت مصر للضغوط الدولية(٥٢).

ومن هذه الشروط: جعل حكم مصر وراثياً لمحمد علي وأسرته، على أن يقوم بإخلاء كريت والحجاز وأدنه، وتسليم الأسطول العثماني للسلطان، مع دفع جزية سنوية للدولة العثمانية، فكان على محمد علي أن يقبل بهذه الشروط بعد أن رفضها في البداية بتحريض من فرنسا، مما أدى إلى إضعافه عسكرياً واقتصادياً وسياسياً[٥٣].

"وكان السلم التعليمي يبدأ من أعلى إلى أسفل؛ لأنه- أي محمد علي - أنشأ المدارس العالية أولاً، ثم المتوسطة، ثم أنشأ مكاتب المبتدئين، وهي المرحلة الأولى للسلم التعليمي. وأخذ محمد علي ينقل الكتب الغربية وخاصة الإيطالية والفرنسية إلى العربية والتركية؛لأنه كان يريد إقامة تعليم يخدم النظام العسكري[٥٤].

*** تأثير نظم التعليم الفرنسية في النظام التعليمي في مصر:**

سار محمد علي بمصر والشام، عن عمد، على النمط الغربي في كل الجوانب، ابتداءً بالتعليم وانتهاءً باهتمامه بالمحافل الماسونية، والتي تدل كثير من الشواهد على انتمائه إليها[٥٥]، وهو أمر أكده المؤرخ الإنجليزي أرنولد توينبي في قوله: (كان محمد علي دكتاتوراً، أمكنه تحويل الآراء النابليونية إلى حقائق فعالة في مصر)[٥٦].

لقد أوكل إلى لجنة مكونة من أعضاء فرنسيين سنة ١٢٥١هـ/ ١٨٣٦م، وضع اللوائح والتنظيمات لكل مراحل التعليم، واتجهت اللجنة في ذلك اتجاهاً علمانياً غربياً مغايراً للاتجاه الإسلامي، الذي كانت تسير عليه مصر وكافة ولايات الشرق الإسلامي، فخدموا بذلك أهداف محمد علي وأطماعه التي يسعى إليها،ومن أهمها إبعاد المصريين عن دائرة الولاء الإسلامي، وربط مصر بالغرب ثقافة ومنهجاً تمشياً مع التيار العام العالمي، فعاشت مصر بعد هذا الانتقال فترة التحول إلى دولة عسكرية على رأسها حاكم يسعى لتقوية دولته من أجل خدمة أغراضه الحربية[٥٧] إذ إن عدد الضباط ورجال البحرية الذين استخدمهم في جيوشه كانوا فرنسيين، كما عهد إلى

الفرنسي (روسيه) مراجعة لوائح الدفتر خانة التي وضعها المعلم (حنا)، وقد أجرى التعديلات وفق المتبع في الأرشيف القومي الفرنسي فكان يعتمد عليها في تنفيذ مشروعاته الاقتصادية والعسكرية وكانت سياسته تتماشى مع سياسة فرنسا[٥٨]

اتصف التعليم في عهد محمد علي بعدة جوانب منها :

١- احتكار التعليم الذي يحقق أغراضه الحكومية وإهمال غيره من التعليم.

٢- إهمال التعليم الأولي "أي تعليم الشعب" وقصر اهتمامه على التعليم فوق الأولي.

٣- أن أمور التعليم كلها كانت خاضعة لإدارة محمد علي، فهو الذي يأمر بافتتاح المدارس أو إغلاقها، وهو الذي يضع المناهج ويوزع التلاميذ.

٤- تحولت المدارس في عهد محمد علي إلى ما يشبه الثكنات العسكرية، من خلال الأنظمة العسكرية الصارمة التي كانت تطبق على التلاميذ فانصرف كثير من الناس عنها.

٥- الاهتمام بتدريس اللغة التركية والفارسية دون اللغة العربية، فقد عمد إلى تدريس القرآن والكتابة باللغة التركية.

٦- انتشار المدارس الخاصة التي يتولاها الأجانب، والتي أسهمت بشكل كبير في إبعاد النشء عن الدين، وربطه بالحضارة الغربية من كافة جوانبها، كما أن هذه المدارس لم تكن خاضعة للنظام المركزي لمحمد علي.

٧- إنشاء المدارس الكاثوليكية الخاصة، وإلحاق مدارس كاثوليكية مجانية بها من أجل أن يلتحق بها أكبر عدد من التلاميذ.

٨- قلة العناصر المصرية بالمدارس التي تم إنشاؤها؛ لأن محمد علي لا يعنيه إلا ما يحقق هدفه من هؤلاء الخريجين، وإنْ لم يكونوا من أهل البلد، فاقتصرت المراكز الرئيسة في المؤسسات الاقتصادية والدولة على الأجانب؛ مما أبرز أهمية التعليم

الأجنبي من أجل الحصول على مراكز عالية في الدولة، كما أن المناصب العليا في البلد كانت في أيدي الأتراك والألبان والأرمن واليونانيين(٥٩).

ثالثاً: إرسال البعثات:

قد يرى بعض الباحثين أن إرسال البعثات تُعد من الأمور الإيجابية التي تحققت في عهد محمد علي باشا، باعتبار ما تحققه هذه البعثات من نهضة شاملة في جميع النواحي التعليمية والاقتصادية والحربية، إذ تستبدل الأيادي العاملة الأجنبية بأيد وطنية مدربة وقادرة على مسايرة التطور والنهضة العالمية.لكن ما حدث في عهد محمد علي: أنه في الوقت الذي أرسل فيه هذه البعثات كان قد فتح الباب على مصراعيه للتجارة الأوربية لتدخل إلى مصر وتسيطر على الحياة الاقتصادية، إلى جانب تمكين دعاة الثقافة الأوربية من السيطرة على النواحي الفكرية والعلمية على حساب الفكر الإسلامي والتعليم الديني(٦٠).

يقول محمد قطب في ذلك: "ومن الأمور الخطيرة والمنافذ التي دخل التوجه العلماني من خلالها؛ فدخل ساحة التعليم، ومن ثم في ساحة الحياة في مصر الإسلامية، وأهمل الأزهر وشيوخه وعلماءه، واهتم بإرسال الشبان الصغار بأعداد متزايدة إلى أوروبا وهم في سن المراهقة، غير محصنين بشيء لينغمسوا في الشهوات، ويتأثروا بالشبهات، ثم يرجعوا إلى بلادهم فيكونوا رأس الحربة المتجهة إلى الغرب. لقد أرسل مع البعثات أئمة يؤمون الطلاب في الصلاة، ولكن ماذا عمل الأئمة؟ لقد كان رفاعة طهطاوي واحداً من أولئك الأئمة، ولكنه عاد وهو واحد من دعاة التغريب، وعندما استقبله أهله بالفرح يوم عاد من فرنسا بعد غيبة سنين، أشاح عنهم في ازدراء ووسمّهم بأنهم (فلاحون) لا يستحقون شرف استقباله"(٦١).

وكان محمد علي يحاول أن يجمل صورته في أعين الغرب، فيسير في ركابهم في التحديث، بل ويفكر كما قال عن نفسه: (بعقل أفرنجي وهو يلبس القبعة العثمانية)[٦٢].

فمحمد علي بانتمائه إلى المحافل الماسونية والدعوة إلى القومية والوطنية، وإرسال البعثات إلى أوروبا خاصة فرنسا أسهم في تغير الفكر الإسلامي فذهب المبتعثون وعادوا ينادون بالوطنية والقومية المتعصبة،من أمثال تلامذة الأزهر النجباء رفاعة طهطاوي[٦٣]، وعلي مبارك [٦٤] وعبدالله أبو السعود[٦٥].

*** استبعاد التيار الإسلامي من التعليم:**

أدرك محمد علي خطورة التعليم في علمنة الدولة الإسلامية وأن التعليم هو الذي يشكل الحكومة الجديدة التي تحقق أهدافه، لذلك سعى إلى:

أولاً: القضاء على التعليم الديني وذلك من خلال:

أ – تطوير التعليم من الداخل من خلال إصدار قانون تطوير الأزهر وعدم التركيز على الدراسات الدينية،التي ظل الأزهر يحافظ عليها سنوات طويلة، فأصبحت المناهج هشة وأصبح هناك تمييع لهذا اللون من الدراسات الدينية.

ب- تطوير التعليم من الخارج عن طريق الترحيب بالتعليم غير الديني، والازدراء من التعليم الديني، كذلك ازدراء معلم الدين وطالبه عن طريق الكاريكاتير الحقيقي، والتمثيلية والمسرحية والفيلم.

٣- قفل الوظائف العليا أمام خريج الأزهر، وقصر وظائفهم على التدريس والوعظ أو المأذونية وخفض رواتب هؤلاء[٦٦].

ثانياً: نشر التعليم العلماني وتشجيعه في جميع مراحله وجميع مناهجه من خلال:

١- التركيز في البعثات إلى الخارج على طلبة الأزهر، فكانوا يعودون وقد حملوا الألقاب العلمية المختلفة كالماجستير والدكتوراه.

٢- فتح المدارس الأجنبية التي تستقطب أبناء الموسرين، فيتعلموا اللغات الأجنبية، ويعزفوا عن لغة القرآن، ناهيك عن تقليد الغرب في العادات والسلوك، حيث يتولون بعد ذلك أمور الدولة ويصبح زمام الأمور موكولاً إليهم[٦٧].

٣- تشجيع الاختلاط في التعليم في مختلف مراحل الدراسة[٦٨].

وهكذا تحقق لمحمد علي ما يريد، وتحول التعليم في مصر من تعليم ديني إلى تعليم علماني.

*** أثر البعثات على الحياة الفكرية:**

من الأمثلة على ذلك الشيخ رفاعة طهطاوي

هو رفاعة رافع الطهطاوي ولد عام ١٢١٥هـ/ ١٨٠١م، وهو العام الذي غادرت فيه القوات الفرنسية مصر، ولد في مدينة طهطا وإليها ينتسب، وقد كان من علماء الأزهر الشريف، ابتعثه محمد علي في أول بعثة إلى أوروبا وكان ذلك بناءً على ترشيح من الشيخ حسن العطار الذي ولاه محمد علي منصب شيخ الجامع الأزهر وقد صحبه مدير البعثة الفرنسية مسيوجومار والمستشرق البارون دي سالي[٦٩].

ومن خلال صحبه في هذه البعثة يتضح لنا في أي اتجاه كان يسير، فقد تعلم الفرنسية، ثم درس التاريخ والجغرافيا والآداب الفرنسية وكانت، بعثته بين عام ١٢٤١-١٢٤٦هـ/ ١٨٢٦-١٨٣١م، وبعد عودته ألّف عدة مؤلفات منها (منهج الألباب المصرية في مباهج الأدب العصرية، والمرشد الأمين في تربية البنات والبنين، وتخليص الإبريز في تلخيص باريز)[٧٠].

كانت كتب رفاعة الطهطاوي سواء التي قام بتأليفها، أو التي ترجمها تدعو إلى: الفكرة الوطنية، وإلى القومية الفرعونية، وإلى الحرية والمساواة والإخاء، وكل هذه شعارات الثورة الفرنسية [٧١] وشعارات الماسونية اليهودية.

قال في ذلك: "إن ابن الوطن المتأصل به، أو المنتجع إليه، الذي توطن به واتخذه وطناً، ينسب إليه، وتارة إلى اسمه فيقال: مصري مثلاً، أو إلى الأهل فيقال: أهلي، أو إلى الوطن فيقال وطني،... وهذه أعظم المزايا عند الأمم المتمدنة. وقد كان أهالي غالب الأمم محرومين من تلك المزية التي هي من أعظم المناقب"(٧٢).

وقال: "فقد كانت مصر في أيام الفراعنة أم أمم الدنيا وكانت شوكة قوية وهيبتها في القلوب متمكنة..."(٧٣).

وقد كتب رفاعة عن تاريخ الحضارة الفرعونية وأمجادها حتى إن بعض الدارسين يرى أن رفاعة مؤرخ مصري عرف تاريخ مصر القديم على حقيقته في ضوء ما وصلت إليه الكشوف الأثرية، وما كتبه المؤرخون الأوربيون في القديم فلم ينتقص من قدره بل أعلن اعتداله واعتزازه به..."(٧٤)

وفي تمجيده لتاريخ الفراعنة قال الطهطاوي: "أجمع المؤرخون على أن مصر عظم تمدنها، وبلغ أهلها درجة عليا في الفنون والمنافع العمومية،... ومن المعلوم أن من أسس في مملكة مصر السعادة والسياسة والأمنية وحفظ حقوق الرعية هو الملك رمسيس... فخر الدولة المصرية في الأزمان الجاهلية ومصباح تاريخها"(٧٥).

ولم يكتف رفاعة بتحسين التاريخ الفرعوني، إنما مدح ديانة الفراعنة فقال: "وأما الديانة عند المصريين فكانت أيضاً مرتبة، إذ كان أمناء دينهم يعتقدون إلوهية الذات العليا، وكانت لهم أسراراً عجيبة"(٧٦).

وقد نجحت الحملة الفرنسية في تسليط الضوء على ماضي مصر، ودراسة آثارها وتاريخها القديم، وكل ما يتعلق بمصر من موضوعات وصناعات وعادات، ووضعوها في كتاب "وصف مصر Description of , Egypt"(٧٧).

ولعل أخطر الدعاوى التي تبناها الشيخ رفاعة طهطاوي بدعم من الدول الأوربية، الدعوة إلى سيادة اللهجة العامية بدلاً من اللغة العربية الفصحى، ولكنها لم تجد رواجاً من الغالبية فعاد هو وأتباعه إلى الدعوة إلى القومية العربية بهدف فصل العرب عن الدولة العثمانية(٧٨).

فرفاعة من منطلق مفهومه للوطن نادى بالاعتناء باللهجة العامية، وحقق مشروعه بتعريبه صحيفة (الوقائع المصرية)، وتشجيعه للكتابة العامية، فقد كان يستخدم مصطلحاتها عند الترجمة، ويقدم المصطلح العامي على المصطلح المعرب، ويستخدم الكثير من ألفاظها في أثناء تأليفه، وفي ذلك قال: "إن اللغة المتداولة في بلدة من البلاد، المسماة باللغة الدارجة، التي يقع بها المعاملات السائرة، لا مانع أن يكون لها قواعد قريبة المأخذ تضبطها، وأصول على حسب الإمكان تربطها، ليتعارفها أهل الإقليم، حيث نفعها بالنسبة إليهم عميم، وتصنف فيه كتب المنافع العمومية والمصالح البلدية(٧٩)" وهذه محاولات مستميتة لإقصاء اللغة العربية من حياة الناطقين بها.

هكذا سعى رفاعة طهطاوي من خلال كتاباته إلى تعظيم الحضارات الغربية، فاتفق مع دعاة الحرية في توجهاتهم وزعزعة الوحدة الإسلامية، فبدلاً من الدعوة إلى الانضواء تحت المظلة الإسلامية، لجأ هو ومن اتبعه إلى إحياء التراث الفرعوني القديم،وجعله ذلك الرباط المقدس الذي يلتف حوله الشعب المصري.

لذلك وصف بعض المؤرخين ما كتبه رفاعة طهطاوي بأنه بداية للوعي القومي الجديد، فأدت هذه المؤلفات والتراجم بتشجيع من محمد علي إلى ظهور ما يعرف بالقومية التي أخذت تتردد على الألسن (٨٠).

وقد رضي محمد علي ومعظم أبنائه الولاة عن الشيخ رفاعة، فقد أهدى له إبراهيم حديقة نادرة المثال في الخانقاة، وهي مدينة تبلغ ستة وثلاثين فداناً، وأهداه

محمد علي مائتين وخمسين فداناً بمدينة طهطا، وأهداه الخديوي سعيد مائتين وخمسين فداناً، والخديوي إسماعيل مائتين وخمسين فداناً، واشترى الطهطاوي تسع مائة فدان، فبلغ جميع ما في ملكه حين وفاته الفاً وست مائة فدان، عدا العقارات العديدة في بلدة طهطا وفي القاهرة، وقد أورد مجمل ثروته تلك على مبارك في خططه.. "[٨١]

من خلال ذلك يتضح مدى الرضا الذي كان ينعم به رفاعة من محمد علي وأسرته، وتشجيعه على ما كان يقوم به من خلال منح الأراضي والعقارات والأموال كما سبق القول، فرفاعة له السبق والريادة في إدخال العلمنة بما تعنيه الكلمة من تهميش للإسلام وإقصائه عن إدارة شؤون المسلمين.

ومن أهم الترجمات التي قام بها طهطاوي:

١- تاريخ القدماء المصريين، طبع ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٨م.

٢- تعريب قانون التجارة الفرنسي، طبع سنة ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٨م.

٣- تعريب القانون المدني الفرنسي، طبع سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٦م.

٤- كتاب "قلائد الفلاسفة"، طبع سنة ١٢٥١هـ/ ١٨٣٦م.

٥- الدستور الفرنسي والذي نشره في كتابه تخليص الإبريز.

ومع ذلك فليس كل ما قام به رفاعة من نقل وترجمة وتأليف بالأمر الذي يشكل خطراً على الفكر الإسلامي، ولكن أغلب كتاباته حملت في طياتها الأفكار الماسونية التي بثها الفكر الفرنسي الماسوني إبان الحملة الفرنسية، وربما أن الحياة المنغلقة التي كان يعيشها أحدثت لديه خلطاً بعد انتقاله إلى حياة الانفتاح، فتأثر كثيراً بذلك فأخذ يدعو إلى العلمانية[٨٢].

ومن أشهر من عاصروا رفاعة طهطاوي في عصر محمد علي، الشيخ حسن العطار[٨٣] والشيخ محمد عياد الطنطاوي[٨٤]، وإبراهيم الدسوقي[٨٥]، ومحمد عمر

التونسي[٨٦]، وقد كان جميع هؤلاء على اتصال بكثير من المستشرقين الإنجليزيين والفرنسيين. أما أشهر تلاميذه فهم: محمود خليفة، وأبو السعود، وقد سار هؤلاء على المنوال نفسه الذي سار عليه رفاعة من التأليف والترجمة، والهجوم على التيار الإسلامي من جميع الجوانب[٨٧].

والجدير بالذكر أن علماء الغرب أبدوا إعجابهم بما كان يقوم به طهطاوي من زحزحة للشريعة الإسلامية، وكان سلاحه في ذلك (مدرسة الألسن)، فيقول بي.جي.فاتكيوس في كتابه "التاريخ الحديث لمصر"، وهو أحد كتب سلسلة الدراسات الآسيوية والإفريقية في التاريخ الحديث التي أشرف عليها المستشرق اليهودي (بيرنارد لويس): "لقد كان الطهطاوي أول مصري قدم بطريقة منظمة وذكية المبادئ العامة للمؤسسات السياسية الأوروبية، قدم الطهطاوي أفكار عصر التنوير والثورة الفرنسية، وهما عماد هذه المؤسسات، كان الطهطاوي معجباً بعقلانية التنوير الأوروبي، ولهذا فتح الطريق لتابعيه للهجوم المكثف على ما هو تقليدي في مصر"[٨٨].

*** محمد علي وارتباطه بأوروبا في تحديث دولته في المجال الاقتصادي والاجتماعي:**

من خلال ما سبق يتضح الاتجاه العلماني في حكم محمد علي باشا بعد أن أخذ كافة السُبل في الدعوة إلى الوطنية والقومية المصرية؛ رغبة منه في إضعاف ولاء الشعب المصري للدولة العثمانية، التي كانت فوق أي شعور قومي، في حين أن محمد علي لم يكن عربياً فقد كان من رعايا الأتراك الألبان، ولم يكن صراعه من أجل مصر بقدر ما هو صراع من أجل أن يثبت دعائم حكمه، فيجعله ملكاً وراثيا لأبنائه من بعده[٨٩]، وقد نجح في ذلك إلى حد بعيد،فقد وضع سياسة اقتصادية ومالية من أجل بناء الجيش، فأوجد ما يسمى بسياسة الاحتكار في ملكية الأراضي الزراعية، وساعده في ذلك أعوانه من غير المسلمين، فظلم وقهر واستعبد الشعب المصري، إذ أجبر

الفلاحين على ترك أراضيهم، وفرض عليهم السخرة والضرائب المجحفة وأبطل التجارة علاوة على ما صاحب ذلك من ارتفاع في الأسعار وغلاء المعيشة(٩٠).

وعلى الرغم من الإيجابيات التي صاحبت اهتمامه بالزراعة، والصناعة كالاهتمام بالري، وإدخال محاصيل جديدة، وإنتاج الأسلحة والعتاد، إلا أنه "فتح الباب على مصراعيه للتجار الأوربيين لدخول مصر والسيطرة على الحياة الاقتصادية فيها، وأصبحت مصر هي المزرعة التي تعتمد عليها أسواق أوربا في المنتجات الزراعية، وارتبطت مصر من خلاله بذلك ارتباطاً وثيقاً وبأوروبا تجارة وحضارة"(٩١) فأدى ذلك إلى تدفق التجار الأوربيين لمصر، مما كان مدعاة للتدخلات الأجنبية في كل شؤونها كما قضى على علماء الدين وعلى التجار وأصحاب الحرف من أبناء الشعب،عندما فرض عليهم الضرائب الباهظة واستغل كل ما يتم تصنيعه لتنفيذ سياسته وإمداد جيشه بما يحتاج إليه، وأوجد طبقة من ملاك الأراضي الزراعية تتكون من أفراد أسرته وحاشيته والمقربين إليه(٩٢).

كما عمد محمد علي إلى إحلال جوانب تشريعية بعيداً عن القضاء الإسلامي، فسارت علمنة القانون جنباً إلى جنب مع علمنة التعليم والإعلام، وصدرت بعض القوانين الوضعية، وتم إنشاء محاكم أهلية تحكم بغير الشريعة الإسلامية، كما ضم الأوقاف التي كان ينفق منها على التعليم والمشايخ إلى ملكية الدولة(٩٣).

وأول من حاول أن يتلاعب بالشريعة الإسلامية في مصر هو نابليون بونابرت، عندما احتل مصر عام ١٢١٢هـ/ ١٧٩٨م، فقد حاول تغييرها واستبدالها بالقانون الوضعي، ومن أجل ذلك أنشأ في مصر محكمة سماها "محكمة القضايا". وهي هيئة تتكون من اثني عشر تاجراً، نصفهم من المسلمين والآخر من المسيحيين، وأسند منصب الرئاسة فيها إلى قاضٍ قبطي، وجعل اختصاصها النظر في المسائل التجارية

ومسائل المواريث، وقد شُكلت هذه المحاكم في الإسكندرية ورشيد ودمياط، ثم أنشأ بعدها محكمة خاصة لكل طائفة من الطوائف غير الإسلامية من أقباط وأروام ويهود وغيرهم، وأخذت تنافس المحاكم الشرعية، وسار "محمد علي" على هذه السياسة الفرنسية النابليونية فتقلص القضاء الشرعي وأنشأ ما يسمى بـ"المجالس القضائية المحلية" بجانب المحاكم الشرعية حيث أخذت كثيراً من اختصاصاتها(٩٤).

لذلك واجه الشعب المصري العديد من المشكلات والعراقيل في كافة النواحي، فأطماع محمد علي الشخصية لم يكن لها حدود، والإصلاحات التي قام بها خدمت الغرب أكثر من الشعب الذي دفع ثمن هذه الإصلاحات.

كذلك تعاطف محمد علي مع اليهود، وخفف عنهم الجزية بل ألغاها فيما بعد،فاستغلوا ذلك التعاطف، عندما زاد نشاطهم الاقتصادي والصناعي والمالي والثقافي.كما أسس محمد علي مجالس البلديات، وعين بعض اليهود فيها، وأقام المحاكم المدنية، ومكن اليهود من التقاضي أمامها؛ مما شجع يهود اليونان وبولندا على الهجرة إلى مصر، حتى بلغ عددهم عام ١٢٥٥هـ/ ١٨٤٠م ستة آلاف يهودي، كذلك استعان بعدد غير قليل من اليهود الفرنسيين أتباع "سان سيمون" لتنظيم مرافق الدولة في جميع النواحي،التعليمية والهندسية والطبية(٩٥).

كما عمل هؤلاء الأجانب بالإضافة إلى التجارة، في أعمال البناء والصباغ والأحذية والخياطين، وأصبحت المصانع تحت أيديهم يتصرفون فيها حسب أهوائهم، ولم يتخذ محمد علي أي سياسة حاسمة ضد هؤلاء الأجانب بل شجعت سياسته المتسامحة في زيادة الدور السلبي الذي يمارسهُ الأجانب في مصر، فنهبت البلاد، وزاد نفوذ قناصل الدول من أجل الدفاع عن مواطنيهم ومن غيرهم بمقابل مادي(٩٦).

وهكذا ساعدت سياسة محمد علي في سيطرة الأجانب على موارد الشعب، فكان عصره عصر الأجانب بطابع فرنسي، أما بالنسبة لقواته فلم يكن فيها جندي واحد مصري، فكانت قواته مؤلفة من الأرناءوط وبعض الأجانب الذين كانوا يعاملون الشعب المصري معاملة تتسم بالقسوة والإرهاب، ووصل أحد الفرنسيين إلى منصب أركان حرب محمد علي [٩٧].

مما سبق يتضح أن ما قام به محمد علي من إقصاء للشريعة الإسلامية في كثير من مجالات الحياة أدى إلى انتشار المفاسد، فعمل هؤلاء الأجانب على نشر وبث السموم في المجتمع المصري المحافظ، وإهمال التعليم الديني إلى غير ذلك من المظاهر الكثيرة، فمصر دولة إسلامية، طمعت فيها الدول الأوربية، ولم يكن لهم عليها سبيل.

بعد إخفاق الغزوات الاستعمارية، ونجاح الغزو الفكري الفرنسي الذي مهد له محمد علي، إذ أسهم في إحداث تغيير اجتماعي كبير في المجتمع المصري، بعد ذلك حصل توافق كبير وانسجام بين السياسة الفرنسية والمصرية، فكانت فرنسا تميل إلى بقاء محمد علي في بلاد الشام والجزيرة العربية رغبة منها في إثارة مخاوف بريطانيا على مستعمراتها[٩٨].

أما فيما يتعلق بسياسة محمد علي مع الريف والمدن فكانت قائمة على الاحتكار،وهدفها تحقيق الربح الذي يساعد على الإنفاق، فيما يحقق أهدافه، ويخدم مصالحه، خاصة فيما يتعلق بالسياسة والعسكرية؛ لذلك قام بعدة خطوات؛تجعله المتصرف الوحيد في الدولة؛ فألغى نظام الالتزام، وكان أغلب الملتزمين من المماليك والعلماء ومن مشايخ البدو وبعض الموظفين الحكوميين، فأصبح يملك هو وأسرته مساحات شاسعة من الأراضي بلغت عند مطلع القرن العشرين حوالي سدس أرض مصر الزراعية[٩٩].

وهكذا أصبح الفلاح يعمل في قطعة أرض لا يملكها، وفرضت عليهم الضرائب في حالة الامتناع عن العمل. أما الأموال التي كان يحصل عليها محمد علي فكان يتم بها شراء الآلات والأسلحة الجديدة، وسد نفقات البعثات التعليمية في أوربا فسيطر بذلك على كافة المجالات الإنتاجية مما أدى إلى تدهور طبقة التجار والحرفيين(١٠٠).

وقد أدت هذه السياسة المجحفة بحق الفلاحين إلى هروبهم وامتناعهم عن العمل في الأراضي أو الاشتراك في التجنيد الإجباري؛ مما جعل الآلاف منهم يفرون إلى الشام عند والي عكا عبدالله باشا، فكانت هذه الحادثة الذريعة التي تذرع بها محمد علي من أجل مهاجمة الشام(١٠١).

وفي ذلك قال الجبرتي: "اجتمع على الناس عشرة أشياء من الرذائل وهي: السخرة، والعونة، وأجرة الفعلة، والذل والمهانة، وتقطيع الثياب، ودفع الدراهم، وشماتة الأعداء، وتعطيل معاشهم، وأجرة الحمام(١٠٢).

والجدير بالذكر أن سوء الإدارة وفساد السياسة لم يكونا قاصرين على مصر،إنما امتدا ليشملا بلاد الشام بعد أن ضُمت لحكم محمد علي، فكان أول قنصل إنجليزي في القدس عام ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٣م، إذ سمح لهم إبراهيم باشا بذلك بعد أن كان الأجانب يهابون دخولها، ولكن الأهالي بالشام استمروا في رفع عرائضهم للسلطان العثماني لتخليصهم من نظام حكام مصر الذين أخرجوهم من طاعة سلطانهم، كما اجتمع أهالي سوريا ضد فرنسا بسبب مساندتها لمحمد علي في غزو ممتلكات الدولة العثمانية(١٠٣).

النتائج المترتبة على السياسة الاحتكارية في عصر محمد علي:

من الناحية السياسية أصبح حكم محمد علي مطلقاً في مصر، فنظم إدارتها بالطريقة التي تحقق أهدافه، فكان يهتم بكل صغيرة وكبيرة؛ مما أدى إلى نوع من الحكم المركزي الفريد الذي لا يكون إلا من شخصية مسيطرة، والتي ضمت أيضاً بعض أبناء

محمد علي وذوي القربى الذين كانوا بدورهم لا يتحركون إلا من خلال هذه المؤسسة باعتبارهم جزءاً مكملاً لها[١٠٤].

لقد قام اقتصاد مصر على أساس احتكار الزراعة، من خلال نظام الالتزام وتقسيم أراضيهم ومصادرتها، وإقطاعها لأفراد أسرته وكبار موظفيه، وفي عام ١٢٢٦هـ/ ١٨١٢م، بدأ احتكار المحاصيل الزراعية لصالح حكومة محمد علي، ومصادرة أي كمية منها تباع خارج الحكومة، فصارت الحكومة تشتريها من المزارعين بأسعار احتكارية، ثم تبيعها عليهم بأسعار أعلى، فأدى ذلك إلى سلسلة من الأزمات[١٠٥].

أما الصناعة فقد كان يطلق على الاحتكار الحكومي لها لفظ "تحجير"، وأبرز ما فيها: اختيار سلعة شائعة الاستعمال واحتكار بيعها بسعر تحدده الحكومة، وجمع منتجي تلك السلعة في صعيد واحد ليسهل مراقبتهم، وإرغام مشايخ القرى والبلدان على شراء حصة من الإنتاج بالثمن المحدد، وكان الفلاحون يحتجزون في سجون داخل المصانع حتى لا يفروا، وكانت أجورهم متدنية للغاية وتخصم منها الضرائب، بحيث تقرر الضريبة لكل من بلغوا الثانية عشرة من عمرهم. علاوة على تطبيق نظام السخرة، لحفر الترع وتقوية الجسور وحراسة الشواطئ أثناء الفيضان[١٠٦].

من خلال ما سبق يتضح أن محمد علي باشا أنفق أموالاً طائلة على التصنيع لخدمة الجيش والبحرية، وعلى الأسرة المالكة بينما بقي الشعب يعاني من تدني المستوى المعيشي[١٠٧]، ويتحملون الأعباء؛ لأن محمد علي كان يستخدم القوة من أجل إجبارهم على العمل "فإذا رفض الرجال فالسوط حاضر[١٠٨]".

وإزاء هذه السياسة لاذ الكثيرون منهم بالفرار إلى البلدان المجاورة ومع ذلك حرمت الحكومة الفلاح من حق الهروب من البؤس[١٠٩]، يقول عبدالرحمن الرافعي:

"كانت الحكومة ملزمة إذا هجر الفلاحون بلادهم أن تعيدهم إليها حتى يستوفي المتعهد منهم ما دفعه عنهم وفي هذا من مطاردة الناس وإرهاقهم ما لا يغيب عن البال"[١١٠].

وبذلك تحول محمد علي إلى الزارع الوحيد، وكذلك الصانع الوحيد، فتركزت الثروة في يده، حتى أصبح بلا منازع أغنى رجل في مصر، بل وأصبح بعد مضي ثلاث سنوات من حكمه مالكاً لجميع أراضي مصر[١١١]

وليس بمستغرب أن تكون رؤية محمد علي لمصر على أنها من أملاكه، حتى أصدر مرسوماً لأحد حكام الأقاليم جاء فيه "البلاد الحاصل فيها تأخير في دفع ما عليها من البقايا أو الأموال يضبط مشايخها ويرسلون للومان (السجن) والتنبيه على النظار بذلك، وليكن معلوماً لكم ولهم أن مالي لا يضيع منه شيء بل آخذه من عيونهم"[١١٢].

الخاتمة والنتائج

مما ما سبق يتضح أن المناهج العلمانية فُرضت على مصر منذ عهد محمد علي في صورة البعثات الخارجية، والمدارس العلمانية التي أنشأها بالداخل، والقوانين التي اشتُقت من مصادر أجنبية، والمحاكم الأهلية؛ مما أدى إلى استمرار العلمانية تعليما وإعلاما وقانونا وحكما، فانتشر التغريب وضعف التعريب.

كما ارتبط التعليم في عهد محمد علي بأهداف سياسة الاحتكار الاقتصادي وبناء القوة الذاتية والتوسع الخارجي.

وقد تم تسليط الضوء على شخصية رفاعة الطهطاوي؛ لأنه رائد من رواد العلمانية المستوردة من الغرب، إذ اتضح ذلك من خلال مؤلفاته وآرائه التي كانت اللبنات الأولى لدخول العلمانية إلى أقطارنا العربية والإسلامية.

أما ما قام به محمد علي من أجل تحديث مصر وتطورها، فكان محاولة لربط المجتمع المصري بعجلة السياسة الغربية والاقتصاد الغربي، حتى لا يقدر على الفكاك؛ مما أدى إلى تفسخ العلاقات الاجتماعية واختلاف القيم والنزعات والاتجاهات.

كذلك نسب كثير من الباحثين بناء مصر الحديثة لمحمد علي من خلال الأعمال والإجراءات الشاملة، التي قام بها، ولكن الحقيقة أن بناء الدولة لا يتم إلا بالشعب، غير أن محمد على جعل أمور الحكم والإدارة في يده، ويد الأجانب، حين تقلدوا مناصب عليا في الدولة؛ خدمةً مصالحه، بينما كانت المناصب الدنيا من نصيب أبناء الشعب، الذين بذلوا جهدا كبيرا في مراحل بناء الدولة الحديثة في ذلك الوقت.

كان محمد علي أداة طيعة في يد الغرب، لا سيما وقد حقق لهم مالم يستطع الاستعمار تحقيقه، فكان الهدف الذي سعى من أجله هو تحطيم الهوية الإسلامية

للشعب المسلم، إذ نجح الغرب أثناء عهده في إنشاء المحافل الماسونية، كما نجحت الإرساليات التنصيرية في الدخول إلى عقول كثير من أصحاب الهوى والشهوات، وأخذ أصحاب التنصير نشر القوميات بين شعوب العالم المسلم؛ لتحقيق مآرب الغرب وأهدافهم في المنطقة. وهذا يعد تمهيداً للاستعمار الذي لا تزال آثاره في مصر والشام واضحة.

الإحـالات والمراجـع:

١- محمد بن حسن العجيمي، خبايا الزوايا، مخطوط مصور، رقم ٧،ج١، سنة ١٣٢١هـ، مكتبة الحرم المكي، ص ١٥- ص٢٧.

٢- جمال الدين الشيال، التاريخ والمؤخون في مصر في القرن التاسع عشر، القاهرة، ١٩٥٨هـ، ص١٩٥-١٩٦.

٣- زكريا سليمان بيومي، العرب بين القومية والإسلام، قراءة إسلامية في التاريخ الحديث والمعاصر، ط١، القاهرة ٢٠٠٢م، ص١١٤.

٤- زكريا سليمان بيومي، قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين، ط١، جدة، عالم المعرفة، ١٩٩١م، ص١٤٣، ولمعرفة المزيد حول ماكان يقوم به الفرنسيون مع العلماء، انظر، عبدالرحمن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٣، (ب، ت) ص ٣٥.

5- Haskins,H.L:British Routes to India , LONDON, 1928, P.21

6- Haskins,H.L: op.cit,cit,p.22

٧- أحمد فهد الشوابكه، حركة الجامعة الإسلامية، ط١، المنار، ١٩٨٤م، ص ١٠١، انظر: سليمان الغنام، قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية (١٨١١- ١٨٤٠) في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا، ط١، جدة ١٩٨٠ م، ص ١٦-١٩.

٨- ولد محمد علي سنة ١٧٦٩م / ١١٨٢هـ، في بلدة قونية ببلاد اليونان، توفي أبوه وهو صغير فكفله عمه طوسون، تزوج من أرملة ثرية، فاستغل ثروتها وعمل في تجارة الدخان وكون ثروة كبيرة، كان له ثلاثة أولاد وبنتان، وكان يتصف بالذكاء والدهاء والقسوة، انظر: زكريا سليمان، مرجع سابق، ص١٥٩، ١٦٠. وكان شيعي المذهب؛ مما جعله يتيح المجال لعودة التشيع في مصر، ويسمح بدراسة المذهب الجعفري في الأزهر/ انظر: محمود الدغيم، محمد علي وجهة نظر عثمانية، ورقة عمل مقدمة لمركز دراسات الشرق بلندن، (ب.ت) كامل البحث.

٩- رأفت الشيخ، مصر والسودان في العلاقات الدولية، القاهرة ١٩٧٩م، ص١٧.

١٠- ولد السيد عمر مكرم في مدينة أسيوط من أسرة شريفة،وتعلم بالأزهر الشريف، وبدأ حياته السياسية منذ سنة ١٧٩١م، وكانت علاقته مع الدولة العثمانية وثيقة وفعالة، وقد كانت له عناية بقراءة كتب الدين والفقه، واقتنى مكتبة كبيرة تحمل اسمه، ولا يزال جزء منها في دار

الكتب المصرية، انظر: فتحي رضوان، دور العمائم في تاريخ مصر الحديث، الزهراء للإعلام العربي، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٢١.

١١- الغنام، مرجع سابق، ص١٧.

١٢- عمر بن عبدالعزيز، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ١٩٨٠م، ص١٦٣، انظر: عبدالعزيز نوار، تاريخ العرب الحديث والمعاصر (د. ت) ص٨١، انظر: سليمان الغنام، قراءة جديدة لسياسة محمد علي التوسعية، ١٩٨٠م، ص١٩

١٣- انظر: وثائق بحربرا، ١، رقم ١٤ بتاريخ ٢٩ شوال ١٣٢٣هـ، وثيقة رقم ١٥، بتاريخ ٢٢ ذي الحجة ١٢٢٣هـ، وثيقة رقم ١، ٣٤، بتاريخ ٢٣ ذي القعدة، ١٢٢٥هـ وثيقة رقم ١ – س / ١٤٥ / ١ بتاريخ غير واضح، وثيقة ٥، بتاريخ ٩ رمضان ١٢٣٣هـ، وثيقة ٥، غرة الحجة ١٢٣٣هـ، وانظر: وثائق دفتر معية سنية، ١، رقم ١٥، بتاريخ ٢٢ ذي الحجة ١٢٢٣هـ، وثيقة رقم ١ س / ١ / ١٤٥/ ١ بتاريخ غرة ربيع الأول ١٢٢٤هـ، وثيقة رقم ١ – س / ١ / ١٤٥/ ١ بتاريخ ١٦ ذي الحجة ١٢٢٤هـ، وثيقة رقم ١ – س/ ١/ ١٤٥/ ١، ذي المحرم ١٢٢٥هـ، وتاريخ ٢٥ شوال ١٢٢٥هـ، وتاريخ ٢٣/ ١٢/ ١٢٢٥هـ.

١٤- وثيقة دفتر معية سنية رقم ١-س/ ١/ ١٤٥/ ١، صادرة من محمد علي للدولة العلية بتاريخ ١٩ ربيع الثاني ١٢٢٥هـ، بشأن خيانة المماليك وتوعد محمد علي بمعاقبتهم، كذلك وثيقة بحر برا ١٢، رقم ٤٩، رسالة من سليم ثابت إلى محمد علي باشا بتاريخ ٢٦ جمادي أول ١٢٢٥هـ.

١٥- وثيقة دفتر معية سنية رقم ١- س / ١ / ١٤٥ / ١، صادرة من محمد علي للسلطان بتاريخ ٥ شعبان ١٢٢٥هـ.

١٦- وثيقة دفتر معينة سنية رقم ١-س / ١ / ١٤٥/ ١، صادرة من محمد علي للسلطان بتاريخ ٢٥ شعبان ١٢٢٥هـ، كذلك وثيقة بحر ط١، ٢ رقم ٤٧، صادرة من محمد نجيب أفندي إلى صاحب الدولة والعناية، بتاريخ ٢٣ ربيع الثاني ١٢٢٦، تفيد بوصول رؤوس المماليك المقطوعة إلى الأستانة.

١٧- وثيقة دفتر معية سنية رقم ١- س / ١/ ١٤٥/ ١، صادرة من محمد علي إلى الباب العالي، بتاريخ غير واضح

١٨- عبدالرحمن الرافعي، عصر محمد علي، القاهرة، ١٩٨٢م، ص٨١.

١٩- بيومي، قراءة جديدة، مرجع سابق، ص ١٧٩.

٢٠- الجبرتي، مصدر سابق، ص ٤-٣٩.

٢١- الرافعي، مرجع سابق، ص ٦٢.

٢٢- كمال الشرقاوي، النشاط الماسوني في عهد محمد علي وحتى جمال عبدالناصر، القاهرة، (ب، ت)، ص٣٠.

٢٣- الشيخ، مرجع سابق، ص ٢١.

٢٤- نوار، مرجع سابق، ص ١٢٤.

٢٥- للاطلاع على بعض الوثائق التي تدل على تقارب محمد علي مع الانجليز، انظر: وثائق دفتر معية سنية رقم ١ – س / ١ / ١٤٥، دفتر معية تركي، ص١١٦-١١٧ محرم ١٢٢٦هـ، معية سنية دفتر المكاتبات التركية رقم ١-س/ ١/ ١٤٥/ ١ محرم ١٢٢٦هـ، وص ١١٨-١٢٠، ٢٥ محرم ١٢٢٦هـ، وانظر: وثائق بحر برا، ٢٦ رقم ١١٥، بتاريخ ٢١/ ١١/ ١٣٣٤هـ، ورقم ١٢٤ بتاريخ ٢٦ ذي الحجة ١٢٣٤هـ، ورقم ٢٧، بتاريخ ١٦ جمادي الآخرة ١٢٣٥هـ، وانظر: دفتر صادر عابدين، ٢٢-س/ ١١/ ٤٥/ ٧ رقم ٢٠٥ بتاريخ ٢٣ جمادى الأولى ١٢٥٢هـ، رقم ٣٢٣، ١٧ شوال ١٢٥٢هـ، ورقم ٣١٧، تاريخ ٤ شعبان ١٢٥٣هـ.

٢٦- ووثيقة بحر برا، ١-س / ١/ ١٤٥ بتاريخ غير واضح، وثيقة ٥، ٩ رمضان ١٢٣٣هـ، وثيقة ٥ ذي الحجة ١٢٣٣هـ.

٢٧- نوار، مرجع سابق، ص١٢٤.

٢٨- الشوابكة، مرجع سابق، ص ١٢٣.

٢٩- وثيقة بحر برا، ٩، رقم ٢٤٨، صادرة من نجيب إلى محمد علي باشا بتاريخ ١٩ ربيع الأول ١٢٣٩هـ، انظر: محمد أمين، انعكاسات احتلال نابليون بونابرت لمصر على العلاقات الفرنسية الجزائرية، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، ع١٠، س٥، ربيع الآخر ١٤٢٠هـ / يوليو ٢٠٠٤م، ص١٣٢.

٣٠- الشيخ، مرجع سابق، ص ٣٦.

٣١- الخصوصي، مرجع سابق، ص ١٢٥.

٣٢- الرافعي، مرجع سابق، ص ٢١٥.

٣٣- وثيقة بحر برا، ٢، رقم ٥٣، صادرة من محمد نجيب أفندي إلى صاحب الدولة بتاريخ ٨ شعبان ١٢٢٦هـ، حول تخوف الدولة العثمانية من نوايا محمد علي تجاه الشام.

٣٤- وثائق دفتر معية سنية رقم ١-س/ ١/ ١٤٥/ ١، بتاريخ ٥/ ١٠/ ١٢٢٨هـ، وبتاريخ ١٥/ ١٠/ ١٢٢٨هـ، والمقصود ببلاد الأحباش (جدة، سواكن، مصوع).

٣٥- جون كيلي، بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠م، ج١، ترجمة محمد أمين، عمان، ١٩٨٦، ص٤٧٣-٤٧٤

٣٦- وثيقة دفتر معية سنية رقم ١ – س / ١/ ١٤٥/ ١، من الأستانة بتاريخ ١١ ربيع الأول ١٢٢٥هـ.

٣٧- وثائق دفتر صادر عابدين ١٢١٤ رقم ٥٤٤/ ١٢/ ١٤٥ / تاريخ ٩/ ١٤/ تشرين الثاني / ١٨٤٠م، صادرة من بالمرستون إلى الديوان البحري، وثيقة بتاريخ ١٧/ شوال / ١٢٥٦م، من محمد علي إلى أميرال الأسطول الإنجليزي، وثيقة بتاريخ ٨/ ديسمبر/ ١٨٤٠م من القبطان فتشور إلى محمد علي.

٣٨- بيومي، العرب، مرجع سابق، ص ١٢١.

٣٩- الشيخ، مرجع سابق، ص ٤٣.

٤٠- محمود منسي، تاريخ الشرق العربي الحديث، ط١، خوارزم، الرياض، ١٤٣١هـ، ص١٠٤.

٤١- الماسونية هي منظمة يهودية سرية إرهابية غامضة تهدف إلى السيطرة على العالم، وأعضاؤها من الشخصيات المرموقة في العالم، ويقومون بما يسمى بالمحافل للتجمع والتخطيط والتكليف بالمهام، انظر، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ١٩٨٩م، ص٤٤٩.

٤٢- ابراهيم العدوي، الصراع الفكري بين أجيال العصور، القاهرة، (د. ت)، ص٥٨.

٤٣- بيومي، العرب، هامش رقم ٥٦، ص١٦٩.

٤٤- بيومي، قراءة، ص ١٧٠.

٤٥- محمد قطب، واقعنا المعاصر، القاهرة، (د. ت)، ص٢٠٥، وانظر: إبراهيم عشبي، المحفل الماسوني الذي حكم مصر، مقال، نشر في التحرير، بتاريخ ١١/ ١١/ ٢٠١١م.

٤٦- الشوابكة، مرجع سابق، ص ٥٦-١٠١.

٤٧- ياغي، مرجع سابق، ٢١٨- ٢١٩.

٤٨- محمود منسي، مرجع سابق، ص ٨٢ – ٨٣، وص ١٠٣- ١٠٥.

٤٩- الشوابكة، مرجع سابق، ص١٠١.

٥٠- أحمد عزت عبدالكريم، التعليم في عصر محمد علي، ١٩٣٨،ص١٣.

٥١- بيومي، العرب، ص١٢٢.

٥٢- بدر الدين، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ج١، ط٢، الكويت ١٩٨٤م، ص١٧٧.

٥٣- احمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، القاهرة، (د.ت)، صفحات من ٩٣٠- ٩٣٣.

٥٤- الشيخ، مرجع سابق، ص٢٦.

٥٥- بيومي، قراءة جديدة، ص ١٩٤-١٩٦، وانظر: بيومي، العرب، ص ١١٢-١١٥.

٥٦- ارنولد توينبي، عبدالرحمن الجبرتي، (د.ت)، ص ١٤.

٥٧- عمرطوسون، صفحة من تاريخ مصر في عهد محمد علي (الجيش المصري والبحري)، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ١٩٩٠، ص٤٦-٥٥.

٥٨- طوسون، المرجع نفسه والصفحة نفسها.

٥٩- بيومي، مرجع سابق، ص١٢٢، وانظر: عزت، مرجع سابق، ص٥٤.

٦٠- بيومي، العرب، ص ١١٧-١٢٤.

٦١- قطب، مرجع سابق، ص ٢٠٥.

٦٢- منير شفيق، تجربة محمد علي الكبير، القاهرة، (د.ت)، ص ٣٨.

٦٣- سيرد ترجمة للشخصية في صفحات لاحقة.

٦٤- علي مبارك من مواليد الدقهلية (١٨٢٣- ١٨٩٣م)، لقب بأبي التعليم، مؤرخ مصري وتربوي، تعلم في القاهرة ثم فرنسا، تدرج بعد عودته في العديد من المناصب حتى اصبح رئيس ديوان الأشغال والمدارس، أنشأ الكتبخانة الخديوية (دار الوثائق القومية)، الف كتاباً مهماً من عشرين مجلدا عنوانه "الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة"، انظر: حسين فوزي، جولات في رحاب التاريخ، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص١٠.

٦٥- عبد الله أبو السعود (١٨٢٠-١٨٧٨)، صحفي وشاعر وأديب مصري، تتلمذ على يد رفاعة طهطاوي، وأصدر صحيفة "وادي النيل"، وشارك في تحرير مجلة "روضة المدارس" التي أصدرها على مبارك، اشتغل في وظائف مهمة في الدولة، فرأس قلم الترجمة، ثم عين قاضياً، انظر: فوزي، مرجع سابق، ص١٥.

٦٦- سلامة، مرجع سابق، ص ٢١.

٦٧- سلامة، المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

٦٨- سلامة، المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

٦٩- فتحي رضوان،، دور العمائم في تاريخ مصر الحديث، ١٩٨٦م، ص٢٧.

٧٠- رضوان،المرجع نفسه، ص٢٧-٤٥.

٧١- الشيال، مرجع سابق، ص٧٠، وانظر: بيومي، العرب بين القومية، مرجع سابق، ص١٢٣.

٧٢- هاني السباعي، رفاعة طهطاوي، ملامح وتاريخ، لندن، مقال نشر في المجلة الإلكترونية "الأصدقاء المصريون والعرب، لندن، ١٧ ابريل ٢٠٠١م

٧٣- الشيال، مرجع سابق، ص٧١.

٧٤- السباعي، مقال سابق.

٧٥- السباعي، مقال سابق.

٧٦- الشيال، مرجع سابق، ص٧١.

٧٧- إسماعيل ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، ط١، ١٤١٨، العبيكان، ص٢١٩.

٧٨- بيومي، العرب، ص ١٢٣- ١٢٤.

٧٩- السباعي، مقال سابق.

٨٠- الشيال، مرجع سابق، ص٧١.

٨١- السباعي، مقال سابق.

٨٢- رضوان، مرجع سابق، ص ٢٧-٤٥.

٨٣- الشيخ حسن العطار، من اصل مغربي،، ولد بالقاهرة سنة ١٧٦٨م، عاصر الاحتلال الفرنسي لمصر، أجاد كثيراً من اللغات، كالتركية والفرنسية والألبانية، وزار كثيراً من أوطان العرب، تتلمذ على يديه رفاعة طهطاوي ومحمد الطنطاوي، وتولى مشيخة الأزهر عام

١٨٣٠م. كان شعاره أن بلادنا لابد أن تتغير أحوالها، ويتجدد بها من المعارف ما ليس فيها. انظر: مجلة الأزهر، مقال عن الشيخ حسن العطار، بتاريخ ٣/ ٥/ ٢٠١٢م.

٨٤- محمد عياد الطنطاوي (١٨١٠-١٨٦١م)، مؤلف ومؤرخ ومفكر مصري، تلقى دعوة من وزير الخارجية الروسي السيد ك.ف.نيسيلرودي ليدرس اللغة العربية في روسيا، غادر مصر عام ١٨٤٠م، وأصبحت وطنه الثاني؛ولم يزر مصر إلا مرة واحدة، توفي ودفن في سان بطرسبورغ وهو يناهز الخمسين من عمره.انظر:الشيال، الدكتور بيرون والشيخان محمد عياد الطنطاوي ومحمد التونسي، مجلة كلية الآداب ع (٢) الإسكندرية، مارس ١٩٩٨.

٨٥- لم اجد ترجمه له.

٨٦- محمد عمر التونسي، ولد في تونس وتوفي في القاهرة. تعلم في الزيتونة ثم قصد القاهرة والتحق بالأزهر، عمل مصمماً لغويا في مجلة "الوقائع المصري" ثم عمل واعظاً دينياً بالجيش المصري، كما عُين كبيراً للمراجعين في مدرسة الطب بالقصر العيني عام ١٨٣٩م، كان شاعراً وله العديد من القصائد وردت ضمن كتاب "تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان". انظر: حافظ ذياب، مقال عن الشاعر محمد التونسي، مجلة العربي، ع٥٦٩، الكويت، ٤/ ٢/ ٢٠٠٦م، وانظر: محمد رجب بيومي، محمد عمر التونسي رائد اليقظة التعليمية في النشر والتحرير، مجلة رحاب المعرفة، ع٢، س١، مارس ١٩٩٨م.

٨٧- رضوان، مرجع سابق، ص ٢٧- ٤٥.

٨٨- معن زيادة، معالم على طريق تحديث الفكر الغربي، عالم المعرفة، ع١١٥، يوليو ١٩٨٧م، الكويت، ص١٨٩-١٩١.

٨٩- بيومي، العرب، ص ١٢٢.

٩٠- بيومي، قراءة جديدة، ص١٧٩.

٩١- بيومي، قراءة جديدة، ص ١٨١، انظر: إسماعيل ياغي، مرجع سابق، ص ٢٠٨-٢٠٩.

٩٢- عمر عبدالعزيز، مرجع سابق، ص ٢١١.

٩٣- بيومي، العرب، ص ١١٧.

٩٤- عبدالرزاق السنهوري، تطور لائحة المحاكم الشرعية، القاهرة، (د.ت) ص٤٠.

٩٥- نوار، مرجع سابق، ص٩٩، وانظر: كمال الشرقاوي، النشاط الماسوني في عهد محمد علي وحتى جمال عبدالناصر، القاهرة،(د. ت)، ص٢٤.

٩٦- بيومي، العرب، ص ١٢٥-١٢١.

٩٧- محمد السروجي، الجيش المصري في القرن التاسع عشر، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ١٨.

٩٨- ياغي، مرجع سابق، ص ٢٠٩، وانظر:الغنام، مرجع سابق، ص٨٢-٨٥.

٩٩- نوار، مرجع سابق، ص ٩٦.

١٠٠- وثيقة دفتر معية سنية، رقم ١ – س / ١/ ١٤٥/ ١، صادرة عن محمد علي إلى الدولة العلية (إفادة) بتاريخ ٧ محرم ١٢٢٥هـ، انظر: الجبرتي، مصدر سابق، ص٤-١٥٠.

١٠١-كان محمد علي يبدي دائماً للسلطان رغبته في عزل والي الشام متذرعاً بأسباب كثيرة، للاطلاع عليها انظر: وثائق معينة سنية، رقم ١-س / ١/ ١٤٥/ ١، بتاريخ ٢٧/ ١٠/ ١٢٢٥هـ وتاريخ ١/ ربيع أول / ١٢٢٦هـ، وتاريخ ٢٧/ ١٢/ ١٢٢٦هـ، وتاريخ ٥/ ١٠/ ١٢٢٨هـ، وتاريخ ١٥ شوال ١٢٢٨هـ.

١٠٢- بيومي، العرب، ص١١٩.

١٠٣- أحمد فهد الشوابكة، حركة الجامعة الإسلامية، ط١، المنار، ١٩٨٤م، ص٦٥-٦٧، وقد انسحب إبراهيم باشا من سوريا عام ١٨٤٠م، وعبر الأهالي عن فرحتهم لخلاصهم من السطوة والظلم وعودتهم إلى حظيرة الدولة العثمانية، انظر المرجع نفسه، ص٦٧.

١٠٤- عبدالغني، مرجع سابق، ص١٠٨

١٠٥- عبدالقادر السعدني، سنوات الهوان من محمد إلى فاروق، جريدة السياسي المصري، القاهرة ٣/ ١٢/ ٢٠٠٠م.

١٠٦- شوقي رافع، الطغاة يجهلون الجغرافيا، مجلة العربي، الكويت، ع ٤٧٨/ ١٩٩٨م، ص ٨١-٨٥.

١٠٧- وثيقة معية سنية، رقم١-س/ ١/ ١٤٥/ ١،صادرة من محمد علي للدولة العلية (إفادة)عن أحوال مصر المعيشية.

١٠٨- وثيقة، دفتر صادر، عابدين،٢٢٠-س/ ١١/ ٤٥/ ٧، رقم ١٣١، بتاريخ١٤/ ربيع أول١٢٥٢هـ، وثيقة تتحدث عن معاملة محمد علي باشا القاسية والوحشية لمن يخطئ أو يقصر بعمله.

١٠٩- شكري، مرجع سابق، الصفحة نفسها، انظر عبدالغني، مرجع سابق، ص١١.

١١٠- الرافعي، مرجع سابق،ص١٢٩.

١١١- ذوقان قرقوط، جوانب غير معروفة من تجربة محمد علي باشا، مجلة "الوحدة"، الرباط، ع٣٢/ ٣٣، أبريل، ١٩٨٧، ص١٠١-١١٤.

١١٢- أحمد عبد الرازق، النخبة البرلمانية في الصعيد، مجلة "منبر الشرق"، القاهرة، س٣، ع ١٥، سبتمبر أيلول١٩٩٤م، ص٩٣-٩٧.

المصادر والمراجع

المخطوطات:

- محمد بن حسن العجيمي، خبايا الزوايا، مخطوط مصور، رقم ٧، ج١، سنة ١٣٢١هـ، مكتبة الحرم المكي.

الوثائق:

- دفتر معية تركي، ص١١٦-١١٧ محرم ١٢٢٦هـ، معية سنية دفتر المكاتبات التركية رقم ١-س/ ١/ ١٤٥/ ١ محرم ١٢٢٦هـ، وص ١١٨-١٢٠، ٢٥ محرم ١٢٢٦هـ.
- وثائق بحر برا، ٢٦ رقم ١١٥، بتاريخ ٢١/ ١١/ ١٣٣٤هـ، ورقم ١٢٤ بتاريخ ٢٦ ذي الحجة ١٢٣٤هـ، ورقم ٢٧، بتاريخ ١٦ جمادي الآخرة ١٢٣٥هـ، دفتر صادر عابدين، ٢٢-س/ ١١/ ٤٥/ ٧ رقم ٢٠٥ بتاريخ ٢٣ جمادي الأولى ١٢٥٢هـ، رقم ٣٢٣، ١٧ شوال ١٢٥٢هـ، ورقم ٣١٧، تاريخ ٤ شعبان ١٢٥٣هـ.
- وثائق بحر برا، ١، رقم ١٤ بتاريخ ٢٩ شوال ١٣٢٣هـ.
- وثائق دفتر صادر عابدين ١٢١٤ رقم ٥٤٤/ ١٢/ ١٤٥ / تاريخ ٩/ ١٤/ تشرين الثاني / ١٨٤٠م، صادرة من بالمرستون إلى الديوان البحري.
- وثائق دفتر معية سنية رقم ١ – س / ١/ ١٤٥.
- وثائق دفتر معية سنية رقم ١-س/ ١/ ١٤٥/ ١، بتاريخ ٥/ ١٠/ ١٢٢٨هـ، وبتاريخ ١٥/ ١٠/ ١٢٢٨هـ، والمقصود ببلاد الأحباش (جدة، سواكن، مصوع).
- وثائق دفتر معية سنية، ١، رقم ١٥، بتاريخ ٢٢ ذي الحجة ١٢٢٣هـ.
- وثائق معينة سنية، رقم ١-س / ١/ ١٤٥/ ١، بتاريخ ٢٧/ ١٠/ ١٢٢٥هـ وتاريخ ١/ ربيع الأول/ ١٢٢٦هـ، وتاريخ ٢٧/ ١٢/ ١٢٢٦هـ، وتاريخ ٥/ ١٠/ ١٢٢٨هـ، وتاريخ ١٥ شوال ١٢٢٨هـ.

- وثيقة، دفتر صادر، عابدين، ٢٢٠-س / ١١/ ٤٥/ ٧، رقم ١٣١، بتاريخ ١٤/ ربيع الأول ١٢٥٢هـ، وثيقة تتحدث عن معاملة محمد علي القاسية والوحشية لمن يخطئ أو يقصر بعمله.
- وثيقة بتاريخ ١٧/ شوال / ١٢٥٦م، من محمد علي إلى أميرال الأسطول الإنجليزي.
- وثيقة بتاريخ ٨/ ديسمبر/ ١٨٤٠م من القبطان فتشور إلى محمد علي.
- وثيقة بحر برا، ٢، رقم ٥٣، صادرة من محمد نجيب أفندي إلى صاحب الدولة بتاريخ ٨ شعبان ١٢٢٦هـ، حول تخوف الدولة العثمانية من نوايا محمد علي تجاه الشام.
- وثيقة بحر برا، ٩، رقم ٢٤٨، صادرة من نجيب إلى محمد علي باشا بتاريخ ١٩ ربيع الأول ١٢٣٩هـ.
- وثيقة بحر برا ١٢، رقم ٤٩، رسالة من سليم ثابت إلى محمد علي باشا بتاريخ ٢٦ جمادى الأولى ١٢٢٥هـ
- وثيقة بحر برا، ١-س / ١٤٥/ ١ بتاريخ غير واضح، وثيقة ٥، ٩ رمضان ١٢٣٣هـ، وثيقة ٥ ذي الحجة ١٢٣٣هـ.
- وثيقة بحر برا، ٢ رقم ٤٧، صادرة من محمد نجيب أفندي إلى صاحب الدولة والعناية، بتاريخ ٢٣ ربيع الثاني ١٢٢٦هـ، تفيد بوصول رؤوس المماليك المقطوعة إلى الأستانة.
- وثيقة دفتر معية سنية، رقم ١ – س / ١/ ١٤٥/ ١، صادرة عن محمد علي إلى الدولة العلية (إفادة) بتاريخ ٧ محرم ١٢٢٥هـ.
- وثيقة دفتر معية سنية رقم ١ – س / ١ / ١٤٥/ ١، صادر، من الأستانة بتاريخ ١١ ربيع الأول ١٢٢٥هـ.
- وثيقة دفتر معية سنية رقم ١ – س / ١ / ١٤٥/ ١، صادرة من محمد علي للسلطان بتاريخ ٥ شعبان ١٢٢٥هـ.
- وثيقة دفتر معية سنية رقم ١-س/ ١/ ١٤٥/ ١، صادرة من محمد علي للدولة العلية بتاريخ ١٩ ربيع الثاني ١٢٢٥هـ، بشأن خيانة المماليك وتوعد محمد علي بمعاقبتهم.

- وثيقة دفتر معينة سنية رقم ١-س / ١ / ١٤٥/١، صادرة من محمد علي للسلطان بتاريخ ٢٥ شعبان ١٢٢٥هـ.
- وثيقة رقم ١ – س / ١ / ١٤٥/١ بتاريخ ١٦ ذي الحجة ١٢٢٤هـ.
- وثيقة رقم ١ – س/ ١/ ١٤٥/١، ذي المحرم ١٢٢٥هـ، وتاريخ ٢٥ شوال ١٢٢٥هـ، وتاريخ ٢٣/ ١٢/ ١٢٢٥هـ.
- وثيقة رقم ١، ٣٤، بتاريخ ٢٣ ذي القعدة، ١٢٢٥هـ وثيقة رقم ١ – س / ١٤٥ / ١ بتاريخ غير واضح، وثيقة ٥، بتاريخ ٩ رمضان ١٢٣٣هـ، وثيقة ٥، غرة الحجة ١٢٣٣هـ.
- وثيقة رقم ١ س / ١ / ١٤٥/ ١ بتاريخ غرة ربيع الأول ١٢٢٤هـ.
- وثيقة رقم ١٥، بتاريخ ٢٢ ذي الحجة ١٢٢٣هـ.
- وثيقة معية سنية، رقم ١ – س / ١ / ١٤٥/١، صادرة من محمد علي للدولة العلمية (إفادة) عن أحوال مصر المعيشية.

المراجع العربية:

- إبراهيم العدوي، الصراع الفكري بين أجيال العصور، القاهرة، (د. ت).
- أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، القاهرة (د. ت).
- أحمد عزت عبدالكريم، التعليم في عصر محمد علي، ١٩٣٨م.
- أحمد فهد الشوابكة، حركة الجامعة الإسلامية، ط١، المنار، ١٩٨٤م.
- أحمد فهد الشوابكة، حركة الجامعة الإسلامية، ط١، المنار، ١٩٨٤م.
- أرنولد توينبي، عبد الرحمن الجبرتي في عصره. (د. ت).
- بدر الدين الخصوصي، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ج١، ط٢، الكويت ١٩٨٤م.

- جاد طه، معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر، ١٩٨٥م، ص٧٨.
- جمال الدين الشيال، التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر، القاهرة، ١٩٥٨م.
- جون كيلي، بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠م، ج١، ترجمة محمد أمين، عمان، ١٩٨٦م.
- رأفت الشيخ، مصر والسودان في العلاقات الدولية، القاهرة ١٩٧٩م.
- زكريا سليمان بيومي، العرب بين القومية والإسلام، قراءة إسلامية في التاريخ الحديث والمعاصر، ط١، القاهرة ٢٠٠٢م.
- ـــــــــ، قراءة جديدة في تاريخ العمانيين، ط١، جدة، عالم المعرفة، ١٩٩١م.
- سليمان الغنام، قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية (١٨١١ – ١٨٤٠م) في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا، ط١، جدة ١٩٨٠م.
- عبد الرزاق السنهوري، تطور لائحة المحاكم الشرعية، القاهرة. (د.ت).
- عبدالرحمن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، جـ ٣، (د، ت).
- عبدالرحمن الرافعي، عصر محمد علي، القاهرة، ١٩٨٢م.
- عبدالعزيز نوار، تاريخ العرب الحديث والمعاصر (د. ت).
- عمر طوسون، صفحة من تاريخ مصر في عهد محمد علي (الجيش المصري والبحري)، مكتبة مدبولي القاهرة، ١٩٩٠م.
- عمر بن عبدالعزيز، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ١٩٨٠م.
- فتحي رضوان، دور العمائم في تاريخ مصر الحديث، الزهراء للإعلام العربي، ط١، ١٩٨٦م.
- كمال الشرقاوي، النشاط الماسوني في عهد محمد علي وحتى جمال عبد الناصر، القاهرة، (د. ت).
- محمد السروجي، الجيش المصري في القرن التاسع عشر، القاهرة،١٩٦٧م.
- محمد فؤاد شكري، بناء دولة مصر في عهد محمد علي،القاهرة، ١٩٥٨م.
- محمد قطب، واقعنا المعاصر، القاهرة، (د. ت).

- محمود منسي، تاريخ الشرق العربي الحديث، ط١، خوارزم، الرياض، ١٤٣١هـ.
- الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ١٩٨٩م.

الرسائل العلمية:

- جرجس سلامة، تاريخ التعليم الأجنبي في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين، رسالة ماجستير منشورة، القاهرة ١٩٦٠م.

المجلات والدوريات:

- إبراهيم عشبي، المحفل الماسوني الذي حكم مصر، مقال نشر في التحرير، بتاريخ ١١/ ١١/ ٢٠١١م.
- أحمد عبد الرازق، النخبة البرلمانية في الصعيد، مجلة منبر الشرق، القاهرة، ع١٥، س٣، سبتمبر– أيلول١٩٩٤م.
- حافظ ذياب، مقال عن الشاعر محمد التونسي، مجلة العربي، ع٥٦٩، الكويت، ٤/ ٢/ ٢٠٠٦م.
- ذوقان قرقوط، جوانب غير معروفة من تجربة محمد علي باشا، مجلة الوحدة، الرباط، ع٣٢، س٣، إبريل ١٩٨٧م.
- شوقي رافع، الطغاة يجهلون الجغرافيا، مجلة العربي، الكويت، ع٤٧٨، ١٩٩٨م.
- الشيال، الدكتور بيروني والشيخان محمد عياد الطنطاوي ومحمد عمر التونسي، مجلة كلية الآداب، ع٢، الإسكندرية، مارس ١٩٩٨م.
- محمد أمين، انعكاسات احتلال نابليون بونابرت لمصر على العلاقات الفرنسية الجزائرية، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، ع١٠، س٥، ربيع الآخر ١٤٢٠هـ/ يوليو ٢٠٠٤م.

- محمد رجب بيومي، محمد عمر التونسي رائد اليقظة التعليمية في النشر والتحرير، مجلة رحاب المعرفة، ع٢، س١، مارس ١٩٩٨م.
- معن زيادة، معالم على طريق تحديث الفكر العربي، عالم المعرفة، الكويت، ع١١، يوليو ١٩٨٧م.
- هاني السباعي، رفاعة طهطاوي ملامح وتاريخ، مقال نشر في المجلة الإلكترونية " الأصدقاء المصريون والعرب"، لندن، ١٧ إبريل٢٠٠١م.

المراجع الأجنبية:

- Haskins, H. L: British Routes to India , London, 1928

Publication Guidelines and Regulations

Definitions

1. Umm Al-Qura University magazines are refereed scientific periodicals that aim at providing scholars in different fields of knowledge an opportunity to publish their products. The "Journal of Islamic Knowledge (Shari'a) and Islamic Studies" is one of them.
2. The journal is published three times a year, each four months.
3 The following can be published in the magazines:
   a. Unpublished original scientific research. which has not been, submitted anywhere else for publication.
   b. Translations of serious scientific research
   c. Study and authentication (editing) of manuscripts of Islamic heritage.
   d. Reviews and introductions of books.
   e. Reports on conferences. forums and other related scientific activities.
   f Final reports about the scientific research financed by the university or others.
   g Summaries of outstanding university theses.
   4. Works related to items (1.2,3) should note exceed 50 pages and works mentioned in (4,5,6,7) should not be more than 10 pages.
5. Arrangement of the topics is subject to technical factors.
6. The materials published in the university publications represent the views of their authors.

Responsibilities of the researcher and his rights

1. A researcher should submit his research in 4 hard copies using IBM compatible computer technology (MS Word 4 or later). It had better be in conformity with the following: Printing area "12.5 cm 18.7 cm", point size 14 points for the text, 12 points for footnotes and references, and the titles should be 18-24 points. Double spaced lines should be used.
2. Appropriate Arabic and English summaries (not exceeding 200 words each) should be submitted.
3. A summary of CV to be submitted in a separate sheet.
4. Drawing originals drawn on paper using black Chinese.
5. For documentation purposes, only one of the acceptable reference styles with a single continuous reference number should be used throughout the paper
6. References should be registered at the end of the research. They should be arranged alphabetically with the researcher's family name followed by first names or their abbreviations, book title in brackets or in italics or underlined.
7. A researcher, a translator, an editor, an author of a discussion paper, a review, a report, or a university thesis summary will be provided with 20 copies of his work and one copy of the publication in which the work has appeared.

Distribution of the Journal and Correspondence

a. The journal is sold for 20.00 Saudi Riyals or US$40.00.
b. Annual subscription fee is 120.00 Saudi Riyals or US$60.0.
c. Requests for exchange and gifts should be addressed to the Deanship of Library Affairs, Umm A1- Qura University, P.O. Box No. 715, Makkah, Saudi Arabia.
d. All correspondence, subscription and purchasing applications should be addressed to the Chief Editor at: Umm al-Qura University Magazine (Journal of Islamic Knowledge (Shari'a) and the Arabic Language and Literature), Umm al-Qura University, P. 0. Box No. 715, Makkah, Saudi Arabia.

E-mail : www.uqu.edu.sa.
Contact us at : www.sajournal@uqu.edu.sa